اغنية انتصار ... لطروادة !

« الى اكرم الحوراني ، »

« فارس المدينة التي تقيأت وراء سورها البحار . »

كأنّ قبل اليوم لم يغم على مدينة مساء ...
النهر ضاع من لهاته النشيد .
لا شاعر هناك يسأل الضفاف مقطعي غناء .
كانت تمد عنقها شجية الدعاء
مآذن الشام ،
كأذرع نحيلة تلوح في الغمام .
لون النجوم حال ، ضلت الطيور في السماء
فلا البروج ، لا القلاع ، لا الحصون ،
تقي ، اذا تنفس الطاعون في الفضاء .
آخيل .. جاء ،
فما تسطر الغضون في الجباه ،
وما تغمغم العيون للعيون ، والشفاه للشفاه .
الا ، تقول ، كيف جاء !
.. وجفت الحلوق ، اجفل الصدى ، تشنج الهواء ،
حتى ، تكاد الارض ان تحس سبخة الدماء
وتنفر الضباع من نئية القفار ،
والجوارح الظماء
تلز خط الافق ، والذئاب تكسح العراء ...
حتى يقول الحدس ، اغلقت منافذ الرجاء
ومثل انجم تفحمت ،
محاجر الاطفال غار في قرارها الضياء
سيق الرجال ، قيدوا الى جدائل النساء .
وقد تلوح الجن في خرائب المدينة الخلاء
يجلن في الطلول ،
ينقشن في تيجان كل جامع قصائد الرثاء .
آخيل جاء ،
فالمد هاج . ظللت ربى الشآم قبضة القضاء ،
تسمر الوجود عند لحظة التقاء
كأنّ قبل اليوم لم يغم على مدينة مساء .

* * *

الموت .. ان علمت كيف يزحف الجراد
على ندية السفوح .. ان علمت ما مناجل الحصاد
فيما الربيع موسم الهضاب ،
وقبل ان تحن للبيادر السنابل الرطاب ..
اذا علمت كيف تهزل البراعم الصغار
على وجود الظل والعبير والجمال
وكيف يجمد الضياء في العيون عند مطلع النهار ،
وينقب الصياد مخبأ اللآل في المحار ..
فالموت ، كان يبقر الارحام عن اجنة الحياه
.. وكانت المدينة التي تقيأت وراء سورها البحار
لانها مدينة النضال ، منذ خضب الثرى نضال ،
تضيء من جراح شعبها معابر الليال ،
تمزق الحصار ، تلوه الحصار ، والحصار ..
فموجة تطاول الذرى ، وموجة الى انحسار
لكن في اللهيب ، في الدخان ، في الدمار
مثل نبوءة الربيع في طلائع السحاب ،
كان مخاض أمة تطهرت على محارق العذاب :
النازحون ، راجعون في مسالك الشعاب
اجراس انطاكية تدق عودة الغياب
وهران تشرب النبيذ حرة على جماجم الذئاب
فلن يعيش غاصب .. مد الدجى قد انحسر
بركان ثورة ، ضمير امة ، قد انفجر ،
كأن قبل اليوم ما احست الضلوع ما الحياة
وما ارادة الحياة
آخيل مات ..
يد الفداء قلمت اظافر القدر

* * *

كان الصباح ملعبا ، ارجاؤه الفساح
شذى انتصار ،
والغوطة الخضراء كانت طوق غار
على جبين الشام . والرياح ، كانت الرياح
تذرو رماد هيكل الحصان ..
كأن قبل اليوم لم يلح على مدينة صباح

دمشق

يوسف الخطيب